وقفة مع ومضتيّ "براغماتية" و"ميكافيلية" لحسونة العزابي

د. هيفاء حمودة، سوريا

(براغماتية[1])

تعوّد أن يتنازلَ عن بعض قصائده لتُنشرَ بأسماء آخرين، يوم تأبينه رثاه الجميع إلا أولئك.

تنازلات <<< الغاية تبرر الوسيلة

أعتبر هذه الومضة مهمة في موضوعها الواسع والثري، فهي تظهر حالة متمظهرة في مجتمعاتنا، وفي كل مجتمعات العالم على اختلاف الاعتقاد بهذه الذهنية من مجتمع إلى آخر. وهي سرد لملامح عالم يسعى للوصول إلى أهدافه المادية بكل الوسائل المتاحة، ويرفض ويبرر كل الأبعاد المادية والأخلاقية والدينية والقانونية في سبيل الوصول إلى المنفعة المادية في عالم تحولت فيه القيم إلى أدوات، وأبيحت فيه أمور مشينة مغطاة بغطاء أخلاقي وهمي.

تقوم ومضة "براغماتية" على جملتين سرديتين، تبدأ الأولى بالفعل "تعوَّد"، وهو فعل يدل على تكرار الحدث من قبل الشخصية التي قد ترمز بدلالاتها هنا للفرد أو المجتمع. (أن يتنازل)، والتنازل هنا خسارة إنسانية،

[1] حسونة العزابي. "20 ومضة". **ومضات سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر 2014**. الكتاب الخامس في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الإلكتروني الذي تصدرة مجموعة سنا الومضة. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، 2014. ص 39.

والتعود عليها خسارة أكبر. ولكن لمن هذه التنازلات؟ (لأولئك) المنتفعين (الآخرين) الذين يبررون تصرفاتهم بوضع قناع الأخلاق من الخارج بهدف تحقيق غاياتهم. وبرأيي أن كاتب الومضة تعمّد جعل الشخصية شخصية شاعر، لتكون الخسارة ذات وقع مأساوي أكبر. ثم (تنازلَ عن بعض قصائده) لأن البعض جزء من كل، والقصائد بالنسبة للشاعر الحقيقي تعتبر جزءاً من الروح، وثمرة فكر وتجربة وحياة، وبالتالي فهي ليست رخيصة بجزئها أو كلِّها.

لغوياً؛ في الفعل (لِتُنْشَر)، نجد اللام التعليلية التي تهدف لتفسير ما بعد الفعل، وكذلك جاء الفعل بعدها بصيغة البناء للمجهول ليرمز بالتالي إلى عالم قاسٍ ورهيب.

أما (أسماء) و(آخرون) فقد وردتنا بصيغة النكرة، وكأنها إشارة إلى عالم محموم مستغل.

في الجملة السردية الثانية، وفيها اللحظة الفارقة التي أظهر فيها الكاتب طريقة وطبيعة الذهنية النفعية الوصولية التي تنسى وتهمل الآخرين، وذلك بعد أن تنتهي وسيلتها المحمومة من أجل غاياتها. والـ (آخرون) النفعيون يبتزون الضحية ثم لا يسألون عنها، وما ذلك إلا لأن مصلحتهم قد انتهت.

في القسم الثاني المتمثل بالنتيجة، فإن المفارقة تُظهر تنكر هؤلاء الأشخاص لمن كان يقوم بهذا الفعل، سيما عند غياب كلماتهم عن رثائه بعد أن أغدق عليهم الكثير من قصائده، على حين بخلوا عليه ببعض الكلمات.

في فنيات الومضة؛ نجد أن الكاتب اعتمد السرد بضمير الغائب، وذلك من منظور الرؤية الخارجي حين فتح الصورة على المشهد، حيث استرجع من خلال لحظة التأبين وقائع طبيعة تلك الشخصية. وبعيداً عن النص؛ فقد جاء العنوان مناسباً، ومتضافراً مع إيحاءات النص. كذلك وجدنا إمكانيات توظيف الضمائر التي أعطت جرسها المطلوب .. (تأبينه، رثاه).

على نفس خط الرؤية، كانت مدلولات وإيحاءات الومضة الثانية وهي بعنوان: (ميكافيلية[2])

(انخفضت نسبة توزيع المجلة، قررت إدارتها زيادة نسبة الأصفر في ألوانها)

تتحدث هذه الومضة عن العالم المجنون البعيد عن القِيم، متيمناً بمقولة "الغاية السامية تبرر الوسيلة" مهما كانت، والفائدة النفعية هي الأهم. من المعروف أن زيادة الأوراق الصفراء في المجلات لها رموزها ومدلولاتها الاجتماعية والاقتصادية.

[2] حسونة العزابي. "20 ومضة". **ومضات سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر 2014**. الكتاب الخامس في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الإلكتروني الذي تصدرة مجموعة سنا الومضة. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، 2014. ص 39.

وهنا لدينا أيضاً جملتان سرديتان، الجملة الأولى تبدأ بالفعل (انخفضت) وكأن شيئاً كارثياً قد حلّ بالمنفعة المادية لسلطة ما يجب تداركه بأي وسيلة كانت. الجملة السردية الثانية اتسمت بالحلّ الذي يتبعه أمثال هؤلاء، وكان على لسان الفعل (قررت) وهو في هذا الموضع يدل على عزيمة لا رجوع عنها، ولا يهمّ معها إلا تحقيق الأرباح المادية والوسيلة (الأوراق الصفراء). من المعروف أن زيادة عدد الأوراق الصفراء في المجلات يدل على رموز ومدلولات اجتماعية واقتصادية تشغلها الإعلانات المصورة، والصور المثيرة والثرثرات الفارغة، التي يمكن أن تتلهى فيها بعض العقول دون حساب لمنظومة الأخلاق والدين والفكر. إن الومضة في تعبيرها وإيحاءاتها ترمز إلى شيء سائدٍ متغلغل في كل المجتمعات البشرية في عالم محموم يسعى وراء غاياته ومنفعته.